الخاتمة

الخاتمة التي نحن بصدد الحديث حولها تدور استعراض الحديث عن الهموم المشتركة حول وجود الخادمة الذي يعتبر أحياناً أمراً ضرورياً تفرضه الظروف، وتقتضيه الحاجة، كما أنه غير ضروري في أحيان أخرى، ومن المؤكد أن وجود الخادمة في البيت له جوانبه الإيجابية والسلبية معاً وكل أسرة تعجز عن الوفاء بمتطلبات البيت تقوم بإحضار خادمة، وتعتقد عبر هذا الحل بأنها قضت على جل مشاكلها ولكنها في الوقت ذاته فتحت أبواب مشاكل من نوع آخر.

فالخادمة بدون شك تساهم كثيراً في الأعمال المنزلية بصورة واضحة، ولكن يقابل ذلك تدهور في جوانب إيجابية كثيرة غير منظورة يصعب الوقوف عليها وتقييم أبعادها في وقت قريب، ولكنها تظهر تدريجياً، وتصبح مشكلة كبيرة لاحقاً يصعب معالجتها.

دعونا نفحص ذلك بمجهر المحايد الذي يسعى لرصد الحقيقة، والوقوف على الواقع بخيره وشره، ولن نفاجأ إذا اكتشفنا أننا جنينا أولاً على أنفسنا ثم عليها؛ لأننا وضعنا جسماً غريباً في وسطنا، يحمل صفات ومكتسبات بيئية وأخلاقية وصحية مختلفة دون أن نحيط بتلك الخلفيات السلبية وخطورتها ناهيك عن مشاعر الخادمة وأحاسيسها وتربتها الثقافية التي نقيدها، ونكتم أنفاسها بيننا إلى جانب أن جميع أعضاء البيت سوف يخسرون شيئاً كبيرًا من لياقتهم وتأهيلهم للحياة، ويجنون خللاً كبيراً؛ بسبب تراجع اعتمادهم على أنفسهم، وخاصة الفتيات مما يؤثر على تأهيلهن لمستقبل حياتهن بصورة مباشرة.

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن الخادمة جلبت معها أمراضاً اجتماعية وصحية مباشرة وغير مباشرة، وخلفت مشاكل مستقبلية كثيرة.

فإذا كنا قد خسرنا جانباً من تأهيل أولادنا اجتماعياً، وجلبنا لأنفسنا المتاعب المفتوحة، وخسرت الخادمة زهرة عمرها نتيجة المتاعب النفسية وبعدها عن وطنها وأهلها، وشعرت بأنها موجودة في سجن مع نفسها؛ لندرة المخاطبة المتكافئة، ولوجودها في بيئة جديدة وعمل جديد؛ فما قيمة الشيء الذي قدمته للأسرة مقابل ما أخذته وما فقدته.

ومن الأمور المسلم بها أن وجود الخدامة أحياناً يكون ضروري للعمل في المنازل؛ بسبب مرض ربة البيت أو أحد أفراده أو وجود الزوجة خارج المنزل للدراسة أو للعمل مما يملي ضرورة دائمة أو مؤقتة، ويجعل وجود الخادمة أمراً لامناص منه، وإذا لم يكن في الحسبان سوى هذا الحل الوحيد فهل يجدر بنا البحث عن بدائل أقل ضرراً وأكثر نفعا؟ أم نرتمي في أحضان هذا الحل بإيجابياته بمعزل عن الخسارة الكبيرة المفتوحة والمتنوعة؟

وطالما يطرح هذا السؤال، ويعي الجميع مشاكل الخادمات، ويدرك أنه أمام مشاكل متعددة الأبعاد، ولكن مع ذلك يذعن لحاجته حيث لامناص من عمل الخادمة لصعوبة الاستغناء عنها دون وجود من يتولى مهامها، أو يتولى القيام ببعض أعمالها وتوفير البدائل الكفيلة بالاستغناء عنها؛ لنريحها من متاعبها، ونستريح من إفرازات مشاكلها.

ولكن أين نجد العلاج السحري سريع الفاعلية؟ لنسد من خلاله مواقع الخادمة ببدائل مناسبة تحقق الغاية؛ وتجنبنا المتاعب، فهل من الممكن تضافر الجهود المنزلية ومساعدة الجهات الإدارية المعنية؛ لتلبية ذلك وشغل الفراغ؟ هذا ما يجمع عليه الناس ويتمنونه.

obeikandl.com